

أمثال القرآن

[506] (رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ). الطهارة حكمت بيئة مريم حتى بعد الولادة، فقد تكفلها بعد وفاة أبيها نبي عصرها زكريا (عليه السلام) بعد حوادث لطيفة حصلت، ممّا زاد في قداستها وسمح لها دخول بيت المقدس والمسجد الأقصى لتقيم عباداتها هناك. وبلغ بها القرب إلى أن كان لا يبعث لها الغذاء، كما جاء ذلك في الآية 37 من سورة آل عمران: (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلًّا مَّا دَخَلَ عَلَيْهَا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّنِي لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّهَا يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ). خلاصة الكلام أن بيئة مريم عكس بيئة آسية، رغم ذلك كلتاهما بلغتا الكمال. جاء في رواية عن الرسول (صلى الله عليه وآله): "كَمْ لَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمَلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا أَرْبَعٌ، آسِيَةُ بِنْتُ مِزَاحِمَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ" (1). مريم وآسية عاشتا بيئتين متضادتين وبلغتا الكمال، وفي ذلك درس عظيم وعبرة للجميع. وعلى الناس أن يفهموا أن المقياس الأساس هو إرادة الإنسان وعزمه، فلا يُعدُّ فساد العائلة أو المجتمع والبيئة وما شابه ذلك عذراً، فإنَّه يصعب بلوغ الهدف مع وجود هذه الأمور لكن لا يستحيل، ويمكن الانتصار والتغلب على الموانع من خلال التحلّي بإرادة صلبة؛ سعيًا لبلوغ القرب الإلهي، كما فعلت آسية، والإرادة والعزم هما اللذان يلعبان الدور الأساسي في هذا المجال. خطابات الآية 1 - العفّة رأس مال عظيم آية المثل أكّدت على فضيلة العفة التي كانت مريم تتحلّى بها، وهي صفة لو تمتع به أحد (سواء كان رجلاً أو امرأة) حصل على كل شيء ولو فقدتها فقد كل شيء. لو تحلّت المرأة بهذه 1. مجمع البيان 10: 320 (نقلاً عن ميزان الحكمة، الباب 3535، الحديث 17674).